

معركة المنصورة الجوية فخر العسكرية المصرية



لواء د. سمير فرج

من حقائق يعرف
المصري اليوم

14 أكتوبر 2022

تحتفل القوات الجوية المصرية كل عام بعيدها في الرابع عشر من أكتوبر، وهي ذكرى أعلى انتصار تحقق في العصر الحديث، يوم تفوقت على القوات الجوية الإسرائيلية في سماء الدلتا المصرية، فوق مطار المنصورة.

لم تكد أصوات المدافع تتوقف، ورائحة البارود تنفث من فوق جبال سيناء بعد حرب أكتوبر 73، التي حققت فيها قواتنا المسلحة نصرًا عظيمًا، حتى أصدر الرئيس السادات قراره بالانفتاح العلمي والعسكري على دول الغرب، بعد توقف امتد لأكثر من عشرين عامًا، منذ ثورة 52، نتيجة فرض الدول الغربية شروطًا لتقييد حجم وتسليح الجيش المصري، وهي الشروط التي رفضها، بالطبع، الرئيس عبدالناصر، لتعارضها مع مبادئ الثورة بإنشاء جيش وطني قوى.. وبناءً عليه اتجه مباشرة إلى الاتحاد السوفيتي وعقد صفقة الأسلحة التشيكية الشهيرة، ومن يومها أصبح الجيش المصري يتبع العقيدة القتالية الشرقية، فكرًا وتسليحًا وأسلوبًا للقتال.

أعلى نصر أكتوبر المجيد من قدرة القوات المسلحة المصرية على فرض شروطها واختيار ما يناسبها، فقرر الرئيس السادات ضرورة دراسة العقيدة القتالية الغربية التي يتبعها العدو الإسرائيلي، بإرسال القادة والضباط إلى المعاهد العسكرية العليا في الغرب، وتحددت أول بعثة إلى كلية كمبرلي الملكية بإنجلترا، ونظرًا لحصولي على المركز الأول في التخرج في كلية الأركان حرب المصرية، فقد تم اختياري لحضور دورة الأركان حرب في إنجلترا. وخلال عام ونصف من الدراسة، تعرفنا على الفكر العسكري الغربي، وتعمقنا في دراسته، نظريًا وعمليًا.

كان من ضمن مناهج الدراسة العملية أن تم تنظيم مشروع تدريبي مشترك مع كلية الأركان حرب الجوية البريطانية في براكنل لمدة أسبوع، لتتعرف على أساليب قتال القوات الجوية،

وآليات التعاون مع القوات البرية أثناء عمليات القتال. بدأت المحاضرات بالتعرف على نشأة وتطور القوات الجوية، إضافة إلى علم الطيران وتطوره.. بينما حُصص جزءٌ من المحاضرات لدراسة أهم المعارك الجوية والدروس المستفادة منها، نجاحًا أو إخفاقًا.

فإذا بى أفاجا بأن ظهر على شاشة العرض أول وأهم معركة جوية فى العصر الحديث، وهى «معركة المنصورة الجوية»، فشعرت بمزيد من الفخر وأنا أستمع إلى نظرة الغرب لهذه المعركة التى تعرضها أكبر كلية متخصصة فى الطيران الحربى فى العالم... تلك المعركة التى شهدتها سماء الدلتا المصرية يوم 14 أكتوبر 73، فوق مطار المنصورة العسكرى بين 200 طائرة حربية؛ 120 منها من أنواع الفانتوم وسكاى هوك والميراج 2000، تابعة للعدو الإسرائيلى، و80 طائرة حربية مصرية من طراز ميج 21 وسوخوى 7 والميراج 2000. دارت هذه المعركة لمدة 53 دقيقة، لتسجل كأطول وأعنف وأشرس معركة جوية فى التاريخ العسكرى الحديث، ورغم التفوق العددى والنوعى لطيران العدو، إلا أن حجم الخسائر بين صفوفهم وصل إلى 17 طائرة إسرائيلية، بينما خسرت مصر خمس طائرات، سقط إثنان منها بسبب نفاذ الوقود.

حظيت هذه المعركة باهتمام الدوائر العلمية حول العالم، لعدة أسباب: أولها، لأنها كانت المرة الأولى التى يدور فيها قتال جوى مباشر بين طائرات روسية الصنع وطائرات غربية الصنع. والسبب الثانى أنها أول معركة جوية تستخدم فيها أسلحة إلكترونية حديثة وأسلحة إلكترونية مضادة، خصوصًا التشويش على رادارات الطائرات من كلا الجانبين. أما السبب الثالث فلأنها أبرزت كفاءة عناصر التوجيه الأرضى فى غرف عمليات المطارات المصرية والإسرائيلية، كما بزغت فيها كفاءة الأطقم الأرضية، خاصة على الجانب المصرى، التى نجحت مع هذا الكم من الطائرات فى الجو طوال مدة المعركة فى إتمام مهمتها على أكمل وجه؛ مثل إعادة تزويد الطائرات المصرية بالوقود، وإعادة تسليحها، والتأكد من السلامة الفنية للطائرات.

كما كان لاشتراك 4 مطارات حربية مصرية فى هذه المعركة الفضل فى رفع تقييم القوات المصرية، لصعوبة تنسيق خروج الطائرات من تلك المطارات وتوقيتات الاشتباك الجوى

والعودة بسلام، خاصة أن معظم الطائرات فى الدلتا متقاربة بعكس الطائرات الإسرائيلية، كانت بعيدة، الأمر الذى يسهل السيطرة عليها.

وكان للخبرة المتراكمة للقوات الجوية المصرية فى التعامل مع قوات العدو خلال حرب الاستنزاف الفضل فى التفوق الفكرى فى فهم لغة الخصم، حيث كان الفكر الإسرائيلى الجوى يعتمد، دومًا، على الهجوم من خلال ثلاث موجات؛ تكون مهمة الموجة الأولى إغراء المقاتلات المصرية واستدراجها لاتجاهات بعيدة عن الأهداف المكلفين بالدفاع عنها، أما الموجة الثانية فكانت هى القوة الأساسية المكلفة بالهجوم على الرادارات ووحدات الدفاع الجوى المصرى من الصواريخ والمدفعية، بينما تختص الموجة الثالثة بضرب الأهداف المحددة لها كتدمير القواعد العسكرية المصرية، لإفقاد القوات الجوية المصرية توازنها وقدراتها القتالية.

بدأت «معركة المنصورة الجوية» فى الساعة الثالثة وخمس عشرة دقيقة، عندما أنذرت مواقع الرادارات المصرية على ساحل الدلتا باقتراب 20 طائرة من طراز الفانتوم من ناحية البحر المتوسط، لتجنب حائط الصواريخ المصرى على الضفة الغربية لقناة السويس، فقررت قيادة القوات الجوية المصرية عدم اعتراض الموجة الأولى، مما أفضل مهمتها فى جذب المقاتلات المصرية، فعادت أدراجها عبر البحر المتوسط إلى القواعد الجوية الإسرائيلية. وفى الساعة الثالثة والنصف، أظهرت شاشات الرادارات المصرية وجود 60 طائرة قادمة من ثلاثة اتجاهات: من ناحية البحر؛ بورسعيد، وبلطيم، ودمياط، فأقلعت 16 طائرة ميج 21 من مطار المنصورة الجوى، ثم 8 طائرات من قاعدة طنطا الجوية للتصدى لها.

أعقب ذلك بثمانى دقائق إنذار للقوات الجوية باقتراب 16 طائرة إسرائيلية قادمة من اتجاه البحر المتوسط على ارتفاع منخفض، وبدأ القتال الجوى فوق سماء دلتا نهر النيل، ليبدأ معه تدفق باقى الطائرات الإسرائيلية، واشتعلت السماء المصرية بأكبر معركة جوية فى التاريخ، استخدم فيها الجانبان أحدث ما يملكانه فى ترسانتهما الجوية، سواء المقاتلات أو أجهزة التشويش اللاسلكى والرادارى.

وبعد محاضرة استمرت لأكثر من ساعتين، تم فيها حساب توقيتات إقلاع الطائرات من المطارات الإسرائيلية ووصولها للأهداف فوق دلتا نهر النيل، والإجراءات المضادة من القوات الجوية المصرية.. خلص الخبراء العسكريون إلى أنه بالرغم من التفوق العددي والنوعي للطائرات الإسرائيلية، إلا أن خبرة المصريين وكفاءتهم فى التغلب على الطائرات والأسلحة الإلكترونية الإسرائيلية المضادة حسمت المعركة لصالحهم.. وهكذا استحق يوم 14 أكتوبر أن يخلد كعيد للقوات الجوية المصرية، التى تفتخر بأبنائها، ليس فى مصر فقط، ولكن أمام العالم كله.

Email: sfarag.media@outlook.com